

القيم الجمالية فى خزف جراجوس كنموذج لتنمية المشروعات الصغيرة Aesthetic values in the studio ceramics of Garagus as a model for Small Projects development

أ.م. د/ ضياء الدين عبدالدايم عمر داود

استاذ مساعد دكتور بقسم الخزف - كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان

Assist. Prof. Dr. Diao Eldin Daoud

Assistant Professor at Faculty of Applied Art - Helwan University - Ceramic
Department

diaadaoud@yahoo.com

الملخص:

تعد تجربة خزف جراجوس من التجارب الهامة والمؤثرة فى خزف الاستديو، وكنموذج ناجح للمشروعات منتهية الصغر، والتي نرصد من خلال منتجاتها القيم الجمالية الخزفية وعلاقتها مع الفن القبطى والاسلامى والفن الشعبى من ناحية وخزف الاستديو المعاصر بافكاره الغير تقليدية.

ونجد ان تقنية الحز والكشط فى البطانة البيضاء من اهم التقنيات التى ترتبط بالفن الاسلامى وبالرغم من بساطة هذه التقنية الا انها تحمل داخلها العديد من القيم الجمالية المرتبطة بحيوية التصميم وفطرية الاداء، وهى احدى السمات الهامة فى خزف الاستديو والخزف اليدوى، فالمنتجات تحمل موضوعات ترتبط اما بالتراث القديم او العادات والطقوس الشعبىة او البيئة المعبرة عن المكان وتختلط مع جماليات الفن القبطى والاسلامى، فهى عناصر متشابكة تتجمع فى اخراج العمل الفنى او القطعة الخزفية اليدوية التى تحمل بصمة معبرة عن التراث فى صورة متجددة .

فمازالت الحرفة تندرج تحت الفنون الشعبىة او الصناعات الثقافىة والتي يعد مصدرها الأول التراث وحيات المجتمع وتقاليدته بأساليب قد تبدو بدائىة غير متأثرة بالتكنولوجيا الحديثة التى طغت على الخزف الصناعى، ولكن تحمل هذه المنتجات أساسىة روحىة تظهر حقيقتة الفن الصادق المرتبط بشخصىة الحرفى والبيئة التى نشأ فيها.

ويتميز الفن القبطى بعدة خصائص لعل أهمها أنه فن عفوى تلقائى، نشأ فى ظروف صعبة شهدت قهرا للأقباط اضطهادهم من جانب الرومان، كما أنه فن ريفى نشأ فى أجواء الإضطهاد، وقد عكست الرسوم أشخاصا عاديين وحيواناتهم الأليفة التى تملأ كل بيت، ويتميز الفن الإسلامى القديم سواء من ناحية التقنىة أو قواعد التصميم البسيطة ذات الحس الفنى المستخدم فى إخراج الأعمال الخزفية للموضوعات المرسومة سواء النباتىة أو الحيوانىة أو للأشخاص فهى مستلهمة من القواعد الفنىة الإسلامىة القديمة وموضوعاتها التعبىرية، وما يميز الخزف البدائى والشعبى ارتباطه بالطقوس والتقاليد والعادات المتوارثة والتي تظهر حقيقتة غائبة أن هذه الأعمال الفنىة البسيطة تتميز بقىمة فنىة عالية حيث ان هذه الاعمال تمثل عادات وتقاليد المجتمع الذى نشأ فيه وتظهر حقائق عفوىة وفطرىة فى التشكيل والتوافق بين اختيار الألوان والشكل الذى يتناسب معها .

الكلمات المفتاحية:

خزف جراجوس , الصناعات الثقافىة ، الصناعات الصغىرة .

Abstract:

The experiment of the ceramics of Garagus is important and effective in the studio, and a successful model for microenterprises, which we observe through its products the aesthetic ceramic values and its relationship with the Coptic, Islamic and folk art on one hand and with

contemporary studio ceramics with its unconventional ideas on another hand. we find that the sgraffito technique on the white slip is one of the most important techniques that are related to the Islamic art, and despite of its simplicity it holds within it many of the aesthetic values associated with the vitality of the design and the innate performance and it is one of the important features of studio and handmade ceramics, products are carrying topics related either to heritage or the old habits and folk rituals or mouthpiece environment and mixing with the aesthetics of Coptic, Islamic art as they are intertwined elements accumulate to output the artwork or ceramic piece which is carrying an expressive fingerprint of heritage in renewable image.

The craft still falls under the folk arts or cultural industries, whose primary source is the heritage, the life of society and its traditions, in ways that may seem primitive and unaffected by modern technology that has dominated industrial ceramics, but these products carry spiritual feelings that show the truth of honest art linked to the character of the craftsman and the environment in which he was raised.

Coptic art is characterized by several characteristics, perhaps the most important of which is that it is spontaneous art. It arose in difficult circumstances that witnessed the oppression of Copts by the Romans. It is also a rural art that arose in an atmosphere of persecution, and the drawings reflected ordinary people and their pets that existed in every home. In terms of technology or simple design rules with an artistic sense used in producing ceramic works for painted subjects, plant, animal, people, they are inspired by ancient Islamic artistic rules and their expressive themes, what distinguishes primitive and popular ceramics is its connection to the inherited rituals, traditions and customs that appear absent in fact that these works Simple artistry is characterized by high artistic values as these works represent the customs and traditions of the society in which he grew up and show spontaneous, innate facts in the formation, the compatibility between the choice of colors and the shape that suits them.

Keywords:

ceramics of Garagus , Cultural industries ,Small Projects.

مقدمة البحث :

لم يكن غريب انتشار مراكز الفخار في مصر بأماكن عديدة حفلت بالعديد بالأشكال ذات الأحجام المختلفة والتي تتنوع اعتمادا على طبيعة المكان الذي انتشر فيه مما أعطى كل مركز من هذه المراكز الحرفية طابعها الخاص سواء من ناحية الخامات البيئية, أو نوعية المنتجات أو أسلوب التشكيل المستخدم, بل وحسب أسلوب الحريق ونوعية الفرن المستخدم, مما أعطى لكل مركز من هذه المراكز منتجات تحمل قيم تعبيرية تمثل فكره بحيوية متميزة, من خلال استغلال وسائل إنتاج بسيطة ولكن برؤية عميقة تمثل استمرارية الحرفة وبتلقائية تؤكد على تكيف هذه الامكانيات المحدودة بما يتوافر لديها من خامات وسبل الاستفادة منها.

فما زالت الحرفة تندرج تحت الفنون الشعبية أو الصناعات الثقافية والتي يعد مصدرها الأول التراث وحيات المجتمع وتقاليد بأساليب قد تبدو بدائية غير متأثرة بالتكنولوجيا الحديثة التي طغت على الخزف الصناعي, ولكن تحمل هذه المنتجات أحاسيس روحية تظهر حقيقة الفن الصادق المرتبط بشخصية الحرفي والبيئة التي نشأ فيها.

واليوم أصبح مسمى الصناعات الثقافية واقع والتي تمثل تحويل شكل المادة الخام وجعلها ملائمة لاحتياجات الإنسان، وتعتبر الثقافة والأفكار الثقافية المختلفة وكذلك التراثية المادة الخام التي يحدث لها عملية تحويل وإعادة صياغة وإنتاج منتجات متنوعة.

حيث أن الثقافة تشكل سلوك حياة الناس ومنبع التقدم وروح التنمية والتطور للمجتمعات، فلكل مجتمع ثقافة تميزه عن بقية المجتمعات وكذلك اختلاف فئة عن غيرها، ولكل ثقافة هوية تجعلنا نشعر بالانتماء والتي تتشكل عن طريق التعليم والخبرة ووعي الأفراد، كما أنها تساعد الإنسان علي معرفة الثقافات والتعاملات المختلفة، وهي من المفاهيم التي لا يمكن أن نجد لها تعريف محدد شامل ولكنها من المفاهيم التي تشتمل علي اتجاهات عدة.

والسمة الأساسية في مراكز الخزف والفخار الشعبي هي تعاون أفراد الأسرة كلهم في عملية الإنتاج، لأنها عملية متوارثة، وتنتقل الحرفة من جيل إلى آخر بما يحمله من تقاليد وخبرة عملية مستمدة من التجارب العديدة، وهي الرصيد الحقيقي للفن الشعبي أو الحرفة الشعبية، ويظهر ذلك واضحاً في حرفة الفخار من خلال منظومة العمل والتي تسند لكل فرد من أفراد الأسرة مهمة تنفيذ خطوة معينة من خطوات الإنتاج، بدءاً من تحضير الطينة وتجهيزها، والتشكيل، التجفيف، والزخرف، والتلوين، ثم ما يتبع ذلك من حريق، والذي يأخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام، والتي من خلالها تظهر القدرات الفنية والخبرات العملية في إخراج المنتجات.

لذا حينما ننظر إلى المراكز الحرفية التي تتمتع بخصوصية في المكان والإنتاج بمصر نجدها تنتشر في أماكن كثيرة على سبيل المثال وليس الحصر مصر القديمة، أشمون جريس، وما تنتجه من أواني ذات طابع خاص وهو الفخار الأسود، ومراكز الفخار المنتشرة ب قنا، وهي متعددة مثل قنا نفسها والترامسا وحجازة قبلي، وجرجوس، والتي تختلف منتجاتها من منطقة إلى أخرى، وهو ما دفع البحث إلى اختيار خزف جرجوس كمنطقة دراسة للتعرف على الأساليب المستخدمة في التشكيل وطرق حرق منتجاتها واستخراج معاني عديدة وقيم جمالية قد لا تكون ظاهرة في بداية الأمر، ولكن نحاول من خلال هذه القيم الجمالية الوصول إلي ما وراء هذه المنتجات والتي تمثل ترجمة حقيقية للصناعات الثقافية والتي تركز على خلفية نابعة من التراث والبيئة والعادات الشعبية، والتي من خلال هذه الدراسة نصل إلي اسباب ومقومات نجاحها والتي تسهم في استمرارية الحرفة وتنميتها كنموذج للمشروعات الصغيرة و توافقها مع متطلبات البيت المصري، لذا نجد ضرورة وجود مفهوم المشاريع الصغيرة في تنمية وتطور الجانب الاقتصادي للدولة فهي تمثل منبع للأفكار البسيطة والتي يمكن ان تتحول في مرحلة لاحقة الى مشروعات كبيرة وتسهم بطاقة انتاجية عالية في الناتج القومي .

والمفهوم الجديد الذي طرأ على حرفة الخزف أو خزف الاستديو يعود إلى البحث عن روافد جديدة للإبداع بدءاً من التمرد على أساليب الإنتاج البدائية والبحث عن وسائل أخرى للتشكيل قد يظهر فيها استخدام التكنولوجيا الحديثة والتي تساعد على سهولة التنفيذ وجودة الإنتاج، ولكنها لا تقلل من قيمة القطعة الخزفية والتي تحمل بصمة فنية مميزة تعود إلى صانعها وتحمل جراً وقوة تعبيرية صريحة تقترب من القطعة الفنية الخالصة.

وهذه الرؤية الجديدة لمفهوم خزف الاستديو ادت إلى ارتقاء الذوق العام لمفهوم الجمال وهو معيار هام في الأشياء الوظيفية ، كما أن منتج خزف الاستديو يتفاعل مع البيت العصري داخلياً وخارجياً مما يؤكد على ارتباطه المستمر عاطفياً لمتذوقى هذه المنتجات ويرجع ذلك إلى مادة الخزف الطبيعية والتي تحمل داخلها مواصفات حسية بالحنين إلى الطبيعة والتي تساعد على تقليل أثر التكنولوجيا الحديثة وطغيانها في حياتنا اليومية، فهذه العاطفة المتبادلة بين الخزف الوظيفي والمكان يضفي حيوية وجمال منسجم بين طبيعة الخزف والبيت المعاصر.

مشكلة البحث :

يمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال التالي :

الى أي مدى يمكن أن تؤثر القيم الجمالية المتعددة لخزف قرية جراجوس بقنا في المنتج الخزفي المعبر عن الهوية المصرية ؟

هل ظهور الهوية المصرية في المنتج الخزفي من العوامل الاساسية التي تساعد على تنمية وتطوير المنتج المرتبط بالتراث أو المفهوم الجديد في الصناعات الثقافية ؟

أهداف البحث :

التوصل إلى دراسة تساعد على تنمية و تطوير الصناعات الثقافية بمنتجات تلبي احتياجاتنا اليومية المتجددة و تتوافق مع البيت المعاصر.

التأكيد على اهمية الاستلهام من التراث الفنى القبطى والاسلامى والشعبى فى منتجات خزف الاستديو بجراجوس والذى يعد احدى الحلول العملية فى استمرارية الحرفة اليدوية وتميئتها .

أهمية البحث :

الاستفادة من أساليب الإنتاج المتعددة والبسيطة للوصول إلى منتج خزفي ذو مواصفات جمالية وجودة عالية تلبي احتياجات البيت المصرى .

أهمية القيم الجمالية المرتبطة بالتراث فى اظهار هوية المنتج الخزفي المصرى وهى احدى الاهداف الهامة للوصول بها إلى مصطلح الصناعات الثقافية الابداعية ذات العائد الاقتصادي .

منهج البحث :

منهج البحث يعتمد على الدراسة التحليلية الجمالية لخزف قرية جراجوس وارتباطه بالتراث القبطى والاسلامى والشعبى .

خزف الاستديو ومراكز الإنتاج

فى بحثنا عن المناطق والمراكز الفنية والتي تعد ترجمة صريحة للمعنى المرادف فى الصناعات الثقافية لخزف الاستديو نجد مركز الخزف بالفسطاط ، وقرية تونس بالفيوم، وخزف جراجوس بقنا ومركز الخزف بمدينة الخارجة بمحافظة الوادى الجديد، وغيرها من الأماكن والاستديوهات الفنية الاخرى، مما أعطى لكل مركز من هذه المراكز منتجات تحمل قيم تعبيرية تمثل فكره بحيوية متميزة، ومن خلال استغلال خاماته البسيطة، ولكن برؤية عميقة تمثل استمرارية الحرفة وبتلقائية تؤكد على تكيف الحرفة لمتطلبات التغير والتطوير، وهو ما يدفعنا إلى تنمية هذه المراكز والاستديوهات الفنية من خلال إيجاد نقاط اتصال بينها وحوار يهدف إلى تنمية وتطوير المنتج بما يتناسب مع البيئة المصرية أو الهوية وأصالتها.

تعد تجربة خزف جراجوس بمحافظة قنا من اهم المراكز الفنية المرتبطة بخزف الاستديو والسمة الأساسية التي تظهر فى منتجاتهم الخزفية هي بساطة خطوات التنفيذ واعتمادهم على الخامات الطبيعية المحلية المتوفرة فى مناطق تصنيعها، وجماعية الأداء والذي يشارك فيه مجموعة من العائلات الأسرية وتوزيع مهام العمل داخل الأسرة الواحدة، حيث أن طبيعة حرفة الخزف تعتمد على جماعية الأداء.

ويمكننا رؤية صدى الاصول القديمة للفن القبطى والاسلامى والتي تتواجد بصورة واضحة و مباشرة فى اعمالهم الحرفية وتمتاز مع مؤثرات حياتهم الشعبية داخل البيئة الريفية، وهنا يظهر كيفية تطويعها وتوافقها مع الموارد البيئية المختلفة فى الحفاظ علي هذا التواصل الخفي، ليس فقط من التشابه فى النواحي الفنية والتصميمية بل ايضا التقنيات التاريخية المتعددة

والبسيطة، وهو يؤكد على قوة العلاقة الإنسانية التي تستمر من منابعها التاريخية وتظل لها وجود حتى يومنا و لكن برؤية جديدة لا تحاكي او تقليد مباشر للتراث .

خزف جراجوس نموذج للمشروعات الصغيرة وارتباطه بالصناعات الثقافية.

تعريف الصناعات الثقافية هي عبارة عن تحويل النشاط الفكري والثقافي والإبداعي إلى أعمال وخدمات ومنتجات إبداعية تساهم في التنمية ورفع مستوي الدخل القومي، فيمكن القول بأنها خلاصة النشاط الفكري والثقافي الذي نتج عنه أعمال وخدمات ثقافية وإبداعية تسهم في نشر ثقافة المجتمع مرات أخرى أو بمعنى آخر القدرة علي إنتاج الأعمال الفنية مرة أخرى حيث تكون قيمتها في محتواها الفكري والثقافي، كما أنها تساهم في إنتاج الأفكار الإبداعية والتكنولوجية.

فالتراث لا يعتبر مخزون ثقافي فقط يمكن العودة إليه حسب احتياجاتنا ولكنه يعتبر صناعة متجددة ترتبط بالتحول والتطور المستمر التي تعيشه حياة البشر والذي يمكن اعتباره بأنه القاعدة التي من خلالها نصل إلي استمرارية وجوده ولكن بصورة مستقبلية، وتعرفه اليونسكو بأنه يعتبر الميراث الماضي الذي نتمتع به في حاضرننا ونقله إلي الأجيال القادمة، كما أنها تعتبر التراث الثقافي هو ما نرثه من المقتنيات المادية وغير المادية لمجتمع له موروثات من الأجيال السابقة والتي تظل باقية حتى الوقت الحاضر وتستمر للأجيال القادمة، فهو يمثل مجموعة من القيم والمعتقدات والآداب والفنون كما تشمل جميع الأنشطة المادية والمعنوية للإنسان الناتجة عن الخبرات المتراكمة للمجتمع.

وحيثما نطبق هذا المفهوم على الحرف اليدوية نجدها متمثلة منذ نشأة الإنسان لقيامها بسد احتياجاته اليومية علي مر العصور، فهي أحد فروع الصناعات الثقافية والإبداعية التي ترتبط بالمهارات والكفاءات اليدوية التي تعتمد علي إبداع ومهارة القائم بتلك الأعمال الإبداعية التي يتم إنتاجها، والتي تسهم في الهدف من تشجيع هذه الصناعات من إحياء للمقوم التراثي الثقافي والإبداعي والذي من خلاله إسهامها في العائد الاقتصادي الذي يحقق النمو المستدام.

كما أنها نابعة عن ارتباطنا بعاداتنا وسلوكنا وأساليب معيشتنا والتي تعكس الجانب الثقافي، ويظهر ارتباط الحرف بالتراث الثقافي بشقيه المادي واللامادي، فارتباطه بالشق المادي نراه من خلال الآثار الموجودة في المتاحف علي مر العصور والحضارات، وارتباطها بالشق اللامادي يظهر فيما نتوارثه من الأساليب والممارسات التقليدية التي تمت بمختلف العصور لتساعدنا في تعلم الحرف، وهي من أهم علامات إبداع الشعوب ومن مصادر تشكيل التراث وأحد المقومات التي تحافظ علي الهوية المحلية .

فالحرفة تبدأ من الإبداع الفردي الذي يتحول إلي إنتاج يتم محاكاته من مجموعة بشكل مستمر وتعتمد في إنتاجها علي حرفيين، ويمكن القول بأنها فنون تعتمد علي المهارة اليدوية والتي ينتج عنها منتج وأعمالاً إبداعية تبرز هذه المهارة التشكيلية المتميزة، ومن خلالها يتم الحصول علي منتجات ذات طابع بيئي حرفي باستخدام أدوات بسيطة.

ويعد خزف جراجوس بمحافظة قنا نمونجا استرشاديا لتنمية الصناعات الثقافية الإبداعية المتعلقة بخزف الاستديو والتي تهدف الي تعليم قواعد حرفة الخزف إلى ابناء المنطقة وامتلاك مهارة التشكيل اليدوي المتعددة والرسم والزخارف والنحت، وكلها تخرج من أصول مرتبطة بالفن القبطي والاسلامى وحيوية وفطرية الاداء الشعبى وتسويق هذه المنتجات الخزفية محليا وخارجيا، والتي تتوافق مع مفهوم الصناعات الثقافية المرتبطة بالتراث والاستفادة منه اقتصاديا، لأن الصناعات الإبداعية هي عملية تحويل للإبداع الفردي القائم علي المعرفة إلي أعمال إبداعية لها تاريخ يساهم في خلق وظائف وفرص عمل بما يحقق رفعة للاقتصاد، إضافة إلي إسهامه في عملية التنمية المستدامة التي لا تتوقف على الاستلها من التراث فقط بل تحويله إلي نقطة انطلاق في صورة تتماشى مع حياتنا المتغيرة والمعاصرة

منتجات خزف جراجوس:

منتجات جراجوس تتوافق مع مفهوم الصناعات الثقافية في تلبية الاحتياجات اليومية من وراء خلفية تراثية، وهو ناتج من التنوع الهائل في أشكال منتجاتها واستخداماتها، والتي تشمل (أدوات المائدة) كالأطباق متعددة الشكل والحجم والسلاطين والبولات في أشكال ومقاسات مختلفة منها المستدير والمربع والمثلث، وأطقم الشاي والقهوة وكوبيات الماء والمشروبات الساخنة والابريق بأحجامها المختلفة وحاويات الطعام (الطواجن) والأواني ووحدات الأضواء كأبليك الأضواء (المعلق- الجانبي- الأرضي) والمنحوتات المجسمة والبلاطات والمعلقات والمباخر و اوني الزرع .

هذا التنوع الهائل في الإنتاج يتعدد معه طرق وأساليب الإنتاج ولذا نجد اختلاف المنتج وطريقة تنفيذه من خلال محاور رئيسية لطرق التشكيل اليدوية المختلفة (حفر- تفرغ- نحت) طريقة التشكيل على الدولاب (عجلة الخزاف) طرق التشكيل باستخدام القوالب الجبسية (الكبس- الصب) طرق معالجة السطح الخزفي (الرسم والزخرفة) طرق تطبيق الطلاء الزجاجي الملون وتقنيات الحريق (الأخترال).

هذه هي المحاور الأساسية لمنتجات جراجوس من الناحية الانتاجية وعلى الجانب الاخر للناحية التصميمية نجد انها خرجت من بيئة طبيعية ريفية وثقافته والتي تمس المعتقدات القبطية والشعبية من خلال الموضوعات الاجتماعية او القصص الدينية القبطية او استخدام الرموز الشعبية والاسطورية مثل (الاسد- السمكة – الزهرة – سعف النخيل) ونجد أيضا بعض الأعمال تخرج منها روح الفن الإسلامي القديم سواء من ناحية قواعد التصميم أو الحس الفني المستخدم في إخراج الأعمال الخزفية ، فمن حيث الناحية الفنية للتقنية نجد استخدام أسلوب الحز والكشط في الطلاء الزجاجي الابيض الغير مستوى والذي يعطى لون غامق في حالة كشف طبقة الطلاء الزجاجي من على جسم الطينة الحمراء .

لذا تعد منتجات جراجوس نموذج يحمل داخلها هوية وثقافات متعددة قبطية واسلامية وشعبية اصيلة سماتها تظهر في بساطة التعبير وفطرية الأداء الفني، وفي نفس الوقت هذا لا يغفل أهمية استخدامهم الادوات والمعدات الحديثة والتقنيات المتعددة المصاحبة للمنتج فهي بمثابة دم جديد يساهم في استمرارية وتنوع المنتجات و بجودة عالية، والذي يعد رسالة يحمل ملامح البيئة المصرية في صورة منتج استخدامي شكل (1) .



شكل (1) نماذج من منتجات خزف جراجوس لادوات المائدة و طقم ابريق الشاي والفنجان

خزف جراجوس والفن القبطي

مصنع جراجوس للخزف يعد من المشاريع الحقيقية ذو تاريخ وبصمة واضحة في الخزف اليدوي ويرتبط بالتراث الشعبي المحمل بالإداء الفطري و عفوية التعبير النابع من صدق الأداء، فالمصنع أقيم على فكرة خدمة المنتج الكنسي بأداء فطري، حيث أن أغلب الأعمال تعبر بزخارفها وروحها عن حياة الفرد القبطي البسيط بمعتقداته وعاداته اليومية والممزوجة بالعناصر المختلفة من البيئة القروية المحيطة به.

ويرجع ذلك لان الفن القبطي نبع من الحياة اليومية بكل مافيها من بساطة و عفوية، وتميز بأنه فن شعبي وليس فنا ملكيا أو امبراطوريا، ويعتبر الفن القبطي إمتدادا للفن المصري القديم رغم وجود اختلافات عديدة فيما بينهما، إلا أن الفن القبطي قد تأثر- بشكل كبير- بما أبدعه المصري القديم على جدران المعابد.

ويتميز هذا الفن بعدة خصائص لعل أهمها أنه فن عفوي تلقائي، نشأ في ظروف صعبة شهدت قهرا للأقباط اضطهادهم من جانب الرومان، كما أنه فن ريفي نشأ في أجواء الإضطهاد، وقد عكست الرسوم أشخاصا عاديين وحيواناتهم الأليفة التي تملأ كل بيت، ومناظر تمثل الحياة الريفية والشعبية البسيطة، كما تميز بأنه يعتمد على الارتجال والبعد عن التخصص الفني، لأن الرهبان الذين كانوا يشرفون عليه لم تكن لهم دراية فنية وكانوا يرسمون في جو مشحون بالقلق بعيداً عن الطمأنينة وتسوده حالة الإضطهاد الديني.

وابتعد عن محاكاة الطبيعة وتقليدها، لذا نحن أمام فن إتجه نحو الرمز والنظر داخل النفس بحثاً عن القيم الروحية لذلك اهتم بالروح والجوهر أكثر من الشكل والمظهر، ولايوجد أى تجسيم أو إبراز للبعد الثالث للعناصر المرسومة شكل (٢).



شكل (٢) نماذج من الفن القبطي الجداري والخزفي يمثل موضوعات مستمدة من الديانة المسيحية

والفخار القبطي ترك لنا العديد من أشكال الأواني الفخارية على اختلاف أنواعها وأحجامها فقد امتازت بدقة الصناعة وجودة صقلها ونعومة سطوحها وزهاء ألوان طينتها الحمراء وبها أحيانا الزخارف والرسومات التي تشغل اسطح أشكالها، ومن تلك الرسوم ما يمثل رموزا أو مناظر دينية أو أشكال الحيوانات الخرافية أو المستأنسة أو بأنواع الطيور المختلفة كالبيط والحمام أو البجع أو الطاووس أو بمناظر الأسماك أو بأفرع الكرم أو الزيتون أو رسوم هندسية أو صلبان أو بأشكال آدمية قد تمثل بعض القديسين أو الرهبان بالإضافة إلي المسارج الصغيرة و التي نقش على معظمها رموز ونصوص قبطية بازرة، والقارورات الصغيرة والتي كانت تستخدم في حفظ أنواع العطور والدهون وغير ذلك من أنواع السوائل الأخرى شكل (٣).

لذا لم يكن غريبا وجود منتجات جراجوس مستوحاه من الفن القبطي القديم ترتبط مباشرة بالطقوس الدينية المسيحية او ان تظهر رسومات لها علاقة مباشرة بالفن القبطي كالمسكة و ماتحملة من معاني كثيرة رمزية، او يكون للفخار القبطي القديم وجود حتى يومنا هذا من المسارج او زمزية الحجاج ولكن من خلال اعادة صياغة هذه الرموز والمعاني التي خرج منها

وذلك من خلال تنوع وسائل الانتاج او الزخارف أو استخدام البتة لونية للطلاءات الزجاجية الملونة مختلفة لها خصوصية مثل درجات الازرق البترولى او الاخضر الزرعى شكل (٤).



شكل (٣) الرموز القديمة المعبرة عن الديانة المسيحية كالمسكة والصلبان و زمزية الحجاج



شكل (٤) منتجات خزف جراجوس المرتبطة بالديانة المسيحية من صلبان ومعلقات دينية

خزف جراجوس والفن الاسلامي

للوهلة الأولى نجد أن أغلبية الأعمال تخرج منها روح الفن الإسلامى القديم سواء من ناحية التقنية أو قواعد التصميم البسيطة ذات الحس الفنى المستخدم فى إخراج الأعمال الخزفية للموضوعات المرسومة سواء النباتية أو الحيوانية أو للأشخاص فهى مستلهمة من القواعد الفنية الإسلامية القديمة وموضوعاتها التعبيرية من مناظر آدمية تمثل بعض الفتيات الراقصات أو الحفلات الموسيقية المرححة والشراب أو أشكال الحيوان والطير في حركات وأوضاع متغيرة، وكان انتشارها بصفة خاصة في العصر الفاطمي او محاكاة للرنوك في العصر المملوكي برسم كؤوس أو صلبان أو سيوف أو اسماك واستخدام الخط العربي بكتابته الكوفية والقديمة، وعلى الجانب الآخر انتشر استخدام الزخارف الهندسية والنباتية والتي تبحث عن التجريد والتلخيص مع استخدام الوحدات الزخرفية التكرارية كنسق تصميمي ناتج من مفهوم الاستمرارية والايقاع المتغير فى انتشارها على السطح الخزفي شكل (٥) .

اما من حيث الناحية الفنية للتقنية نجد استخدام أسلوب الحز والكشط فى الطلاء الزجاجي الابيض النى والذي يعطى خطوط غامقة فى حالة كشف طبقة الطلاء الزجاجي من على جسم الطينة الحمراء، ونجد أن هذا الأسلوب مستخدم بحيوية فى الخزفة المستخدمة على الاطباق او ادوات المائدة فى منتجات جراجوس، وهو نفس الأسلوب الإسلامى القديم "الفاطمي" ونجد أن أكثر الأكاسيد استخداماً فى التلوين أكسيد النحاسيك الاسود (درجات الاخضر) وأكسيد الكوبالت او كربونات

الكوبالت (درجات الازرق)، و يستخدموا ايضا الأكاسيد المعدنية الاخرى والصبغات الملونة المخلوطة بالماء للرسم مباشرة بها فوق الطلاء الزجاجي الابيض ثم تغطى بطبقة أخرى من الطلاء الزجاجي الشفاف، بالاضافة الى الرسم تحت الطلاء الزجاجي الشفاف من خلال الرسم مباشرة فوق الجسم الفخارى الاحمر بالاكاسيد والصبغات الملونة وبعد الانتهاء يتم استخدام الرش لتطبيق الطلاء الزجاجي الشفاف.



شكل (٥) نماذج من الفن الاسلامي القديم لتقنية الحز والكشط في الطلاء الزجاجي والبطانة البيضاء

ومن الاساليب الاخرى والتي ترجع الى التقنيات القديمة الاسلامية كاسلوب الحز والكشط في البطانة البيضاء وهو احدى الحلول العملية للتغلب على نوعية الطينة الحمراء والتي توجد بها نسبة عالية من الشوائب وخاصة اكسيد الحديد والذي يعطى لون احمر غامق وبالتالي تصبح ارضية الجسم غير صالحة للتلوين او الرسم لذا لجأ الفنان المسلم قديما الى تغطية الجسم الاحمر ببطانة بيضاء في بحثه عن محاكاة لنوعية الطينة البيضاء والتي نفتقر وجودها بمنطقة الشرق الاوسط ولكنها متاحة في منطقة الشرق الاقصى (اليابان – كوريا – الصين) ، لذا نجد ان البحث عن محاكاة الطينة البيضاء السبب الرئيسى فى ظهور تقنية تغطية الجسم الاحمر بطبقة من البطانة البيضاء للحصول على سطح ابيض صالح للرسم، ويضاف اليها اسلوب الحز والكشط في البطانة والتي تكشف لون الجسم الاحمر بلون غامق يوضح التصميم المرسوم معتمدا على درجة لون البطانة البيضاء ولون الجسم الاصلى الاحمر الغامق من على جسم الطينة الحمراء، ونجد أن هذا الأسلوب بقرية جراجوس مستخدم فى اغلبية اعمالهم وحيوية وارتجالية دون أى تنظيم أو محاولة أن تكون الخطوط حادة مثل خطوط الرسم الهندسى بل يتم ذلك بعفوية مقصودة والتي تعبر عن سرعة الأداء الواعى لهذا الأسلوب، وسرعة الاداء تتوقف على نوعية التصميم ومن الافضل سرعة الاداء لنحصل على عفوية الخطوط لكى نكسر حدية الخطوط المنتظمة المستخدمة فى الحز .

ونجد ان اغلبية العناصر التي استخدمت فى الرسم على السطح هي عناصر مستوحاه من البيئة مثل النباتات او الحيوانات او الطيور او رصد للعادات والاحتفالات الشعبية والطقوس الدينية شكل (٦)، ونجد انه تعامل مع العنصر المرسوم كوحدة تصميمية تشغل فراغ الدائرة (الطبق) مع مراعات نسبة حجم العنصر داخل الدائرة واستخدام اسس التصميم (التكرار – السالب والموجب – التصغير والتكبير) . والتكرار الداخلي المستخدم يقع على شبكة هندسية قد لا تظهر بوضوح و ظاهر للعين، ولكن نجد استخدام الفنان المسلم للتقسيم الداخلي للشبكة عنصر اساسى وهام فى حالة التكرار الثنائى او الثلاثى او الرباعى والخماسى او السداسى، فالتقسيم احدى اهم خطوات توزيع العناصر داخل اطار الدائرة ومن خلال استخدام عناصر الوحدة وتكرارها على الشبكة الداخلية للدائرة، مع استخدام التصغير والتكبير أو السالب والموجب للوحدة وذلك لكسر رتابة

تكرار الوحدة المستخدمة في الرسم، واسلوب التطبيق لهذا الاسلوب بالرغم يبدو انه هندسى وحاد ولكن ارتجالية التطبيق ورسم العنصر بسرعة مما يظهر عفوية الاداء وهى احدى القيم الجمالية فى منتجات جراجوس.



شكل (٦) نماذج من منتجات خزف جراجوس لتقنية الحز والكشط في الطلاء الزجاجي الملون وبها موضوعات متعلقة بالحياة اليومية البسيطة

خزف جراجوس والفن الشعبي

صناعة الفخار في مصر من أهم الصناعات الحرفية، لما يتميز به الفخار المصري من تاريخ عريق وما يتميز به أشكال الفخار المصري من تنوعات في الطرز وتعدد الأنماط والقيم الجمالية في الأشكال، وخصوصيته في زخارفه، بالإضافة إلى استخداماته المتعددة في الحياة اليومية للإنسان المصري البسيط، سواء كانت نفعية لما لها من خصائص معينة في الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية مثل قلة أو إبريق "السبوع" أو أواني الطعام "الطواجن" وغيرها، حيث شكل الفخار جزءاً مرتبطاً بالتقاليد والطقوس المصرية المصاحبة لهذه الاحتفالات أو المناسبات.

إن ما يميز الخزف البدائي والشعبي ارتباطه بالطقوس والتقاليد والعادات المتوارثة والتي تظهر حقيقةً غائبة أن هذه الأعمال الفنية البسيطة تتميز بقيم فنية عالية، بالرغم من بدائية الصنع وأساليب الإنتاج المستخدمة في التنفيذ حيث أن هذه الأعمال تمثل عادات وتقاليد المجتمع الذي نشأ فيه وتظهر حقائق عفوية وفطرية في التشكيل والتوافق بين اختيار الألوان والشكل الذي يتناسب معها

وبالرغم من أن هذه الفنون التصقت بكلمة "الشعبية" و"البدائية" وهي ناتجة من رخص المواد المستخدمة في التصنيع وبساطة خطوات التنفيذ فإن ذلك لا يقلل أبداً من احتياج هذا الإنتاج إلى ثقافة وعلماً ودرايةً ويتطلب خبرة لا تقل في مستواها عن الخزف المنتج بأدوات حديثة فكلاهما يتطلب عقلاً فنياً وذوقاً، بل إن النوع الشعبي يتطلب جهداً مضاعفاً، لأن هذا الفن خرج من العادات والتقاليد المرتبطة بالحياة اليومية، وهو ما يؤكد على أن الفن الشعبي يتطلب خبرات متكاملة لينشأ نشأة سليمة ليؤدي أغراضه في الحياة لأنها فنون مصدرها التراث وحياة المجتمع وتقاليد.



شكل (٧) نماذج من منتجات خزف جراجوس مستوحاه من خزف الفخار الشعبي وزخرفة من الالهة والمثلثات ومفتاح الحياة من الفن المصري القديم

الفن الشعبي متأصل في أنشطة المجتمع ويؤكد على الأبعاد الاجتماعية التي لها تأثير في صياغة الوحدة التشكيلية التي تتوافق مع الظاهرة الشعبية في مدلولها وقيمتها الإنسانية، فالفنون الشعبية بدون أبعاد اجتماعية ليس لها خصوصية وضرب من الإنتاج الحرفي فقط، وهو ما يؤكد أهمية البعد الاجتماعي والعوامل البيئية بالإضافة إلى البعد التاريخي الموروث. ومما يميز العمل الفني الشعبي أو أي عمل فني نابع من العادات والتقاليد الشعبية هو مظهره الاستثنائي في الشكل والزخرفة، وهو ما يُعرف العمل على أنه جميل ويمتلك بعض السمات المظهرية لشيء ما على أنها المحفز لهذه الاستجابة العاطفية التي يحدثها الجمال، ومن هذه المبادئ الجمالية (التماثل والوحدة والانسجام والإيقاع والتكرار والتوازن)، إذ يمكن لهذه العناصر مجتمعة أو لكلٍ منها على حدة أن تكون أنماطاً منظمة من تركيبات مألوفة، إذا ما أراد الفنان الشعبي ترتيب المكونات الأساسية للعمل الفني عناصر هيكله الأساسي، فإنه يعمل بنفس القوانين التي يطبقها على عمله مع المكونات غير الأساسية كالزخرفة وبهذا يحول المبدع الشيء العادي في الحياة اليومية إلى عمل فني عبر استخدام ماهر مبتكر للمواد، وإضافة زخرفة مفعمة بالخيال إلى السطح باستخدام سمات جمالية غير نفعية وبراعة في الشكل والتصميم. والمنتجات التي خرجت من جراجوس لا يظهر فيها سوى الموضوعات ذات معرفة ولها علاقة بعاداته وتقاليده و تتجاوب مع إحتياجات المجتمع الذي يعيش فيه، واستخدامه للزخرفة والرسم يمثل واقعا عقليا أكثر مما يمثل واقعا بصريا، وتعريفه للأمر بواسطة الرسم كبديل للكلام، وهو يوضح في صورة واحدة مجموعة مشاهد كأنما يحكى قصة، وأغلبية الرسوم لا تعترف بقواعد المنظور الهندسي في التصوير شكل (٧) .

القيم الجمالية في تقنيات خزف جراجوس

استخدامهم الأسلوب القديم في اضافة الالوان اما تطبيق الطلاء الشفاف بدون وجود اكسيد ملون او مع تطبيق الطلاء الشفاف الملون فوق الحز والكشط وهو يعطى نتيجة جيدة من وجود اللون الواحد بدرجتين فاللون او الدرجة الفاتحة تظهر على البطانة البيضاء بينما الدرجة الغامقة على ارضية لون الجسم الاحمر و التباين في اللون يضفى حيوية على التلوين بالرغم من استخدامه لون واحد في تطبيق الطلاء الزجاجي وفي منتجات جراجوس نجد اتباع نفس النمط الاسلامي القديم للحز والكشط في البطانة البيضاء مع تطبيق الطلاء الزجاجي الشفاف العادي والملون .

وفي حالة الرسم باستخدام الاكاسيد والصبغات الملونة نجد اختياره الاكاسيد التي تعطي تأثيرات لونية، وخاصة اكسيد النحاس الاسود في الحصول على اللون الاخضر بدرجاته المتعددة عن طريق التحكم في نسبة اضافة الماء اليه او في كثافة اللون الناتج من الضغط القوي على الفرشاه، ويضاف الى ذلك خاصية لاكسيد النحاس في انتشاره بعيد عن الخط المرسوم عكس بقية الاكاسيد الملونة اوالصبغات والتي لا تنتشر بل تظل ثابتة في المساحة المرسومة. بالاضافة الى سرعة الاداء أثناء استخدام الفرشاه، واللون ليس شرط ان يظل داخل حدود المساحة المراد تلوينها بل من الممكن ان يخرج عن حدودها او تقل المساحة لتصل الى ضربة فرشاه للمساحة الملونة، لان الغرض من التلوين ليس ملئ مساحات لونية للتصميم بل يشغل المساحة فقط .

ويرجع استخدام درجات الاخضر والازرق بكثرة لانهما من الدرجات اللونية التي تنسجم مع الارضية او الخلفية للون الجسم الاحمر الغامق عند ظهوره من كشط البطانة البيضاء، بالاضافة الى لون البطانة البيضاء الضارب الى الاصفرار، كما يظهر اثر البيئة الريفية و اللون الاخضر المنتشر بها كلون له حضور في منتجاتهم شكل (٨).

واعتقد ان احد اسباب نجاح تجربة خزف جراجوس يكمن في هذه التقنية والتي تبدو انها بسيطة ومحدودة النتائج ولكن هو اعتقاد غير صحيح لان التدريب على امكانيات هذه التقنية يفتح العديد من الحلول التصميمية والجمالية وهو ما يؤكد ان تعلم الخزف ليس بمعرفة العديد من الاساليب والتقنيات الخزفية بل اتقان احدها والتدريب المستمر والذي يقودك الى بقية التقنيات الاخرى لان بداية التجربة الفنية بجراجوس بدأت بتلك التقنية ثم بتقنية الاختزال داخل الفرن (البريق المعدني) ثم وصولا الى تقنية (الطلاء الزجاجية الشفافة والملونة).



شكل (٨) نماذج متعددة من منتجات خزف جراجوس للمجسمات والوانى وادوات المائدة وتظهر فيها استخدامهم تقنية الحز في الطلاء الزجاجي والرسم بالاكاسيد الصباغات الملونة على الطلاء الزجاجي

من خلال ماسبق نجد ان تقنية الحز والكشط في البطانة البيضاء و الطلاء الزجاجي الني من اهمالتقنيات التي ترتبط بالتراث الاسلامي وتحمل داخلها العديد من القيم الجمالية المرتبطة بحيوية التصميم وفطرية الاداء، وهي احدى السمات الهامة في خزف الاستديو، فالبحث عن الصدق في الاداء يخرج من موضوعات لها علاقة اما بالتراث القديم او العادات والطقوس الشعبية او البيئة المعبرة عن المكان، كلها عناصر متشابكة تتجمع في اخراج العمل الفني او القطعة الخزفية اليدوية . ولا نستطيع اغفال اهمية الخبرة الفنية والممارسة المستمرة للتجارب الفنية سواء من ناحية التطبيق العملي (التشكيل اليدوي – المهارات اليدوية في الرسم – البالنة اللونية المستخدمه – التقنية الفنية للحريق) فهي كلها ايضا عوامل مؤثرة في القطعة الخزفية اليدوية .

والطابع التعليمي المميز لخزف جراجوس اعطاء الفرصة لكل متعلم داخل المصنع باظهار الجانب الفردي والابتكاري من خلال اختياره لاسلوب التنفيذ او عناصره المستخدمه في الرسم او الوحدة الزخرفية او حتى اشكاله او القطع النحتية البسيطة وكل هذه العناصر او الموضوعات مستمدة من البيئة الريفية المحيطة وماتحملة من مفردات غنية كالزرع والنخيل والزهور والحيوانات والطيور اضافة الى الاحتفالات والمناسبات الدينية والاجتماعية كلها مفردات وعناصر لموضوعات تصب في

زخرفة اسطح منتجات الخزف الاستخدامى والذى يحمل صبغة شعبية وفطرية وتعبير عن تجربة فنية عميقة تمتد جذورها الى اصول التراث.

النتائج والتوصيات :

- 1- تجربة خزف قرية جراجوس من التجارب الهامة والمؤثرة فى الخزف اليدوى او خزف الاستديو والتي تعد نموذج للصناعات الثقافية والمشروعات الصغيرة وهي احدى الوسائل الفعالة والضرورية لتنمية الدخل القومى من خلال الاهتمام بمشاكل المشروعات الصغيرة واهمها رعاية وتسويق المنتج داخليا وخارجيا من الممكن تكراره فى اماكن اخرى.
- 2- انتشار التجربة الفنية لجماليات خزف قرية جراجوس تسهم فى انتشار خزف الاستديو والذى يحمل مواصفات المنتج الاستخدامى وبقيمة جمالية ويحمل الهوية المصرية من البيئة الريفية لقرية جراجوس، وفي نفس الوقت تلبى احتياجات المجتمع من الخزف اليدوى .
- 3- الاستلham من التراث الفنى القبطي والاسلامى والشعبى فى منتجات خزف الاستديو والذى يعد احدى الحلول العملية فى استمرارية الحرفة اليدوية وتنميتها وانتشارها .
- 4- الحرف التراثية والتصميم يقعا تحت عملية مترابطة حيث يساهم فيها استخدام العملية التصميمية المعتمدة علي الإبداع والمهارة والكفاءة في إحياء أساليب أحد الحرف التراثية (حرفة الفخار) التي توشك علي الاندثار والمساهمة في نشر الثقافة النابعة من خلالها وتحقيق عائد حيث أن الثقافة والاقتصاد حلقات مترابطة ارتباطاً وثيقاً نسعى من خلالها لتحقيق تنمية مستدامة معتمدة علي الإبداع القائم علي التراث، أي يساهم من خلال الاستلham من روح التراث والقيام بعمليات إبداعية تصميمية للأفكار المختلفة والخروج منها بنتائج تسهم في الحفاظ علي الموروث في صورته الإبداعية وكذلك تحقيق عائد اقتصادي.

المراجع

1. ايمان مهران، : خزف جراجوس ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 2002
- E manM : ,uhranunK hazfJ , irajusM aktabatA lainjiluA,ImasriatAlqahrt,2002
2. روف حبيب : الفخار و أهميته حتى العصر القبطي والاسلامي ،مكتبة المحبة ، القاهرة .
- Raouf Habib : Alfakhar W Ahamiyatah Hataa Aleasr Alqubtii W Aliislami ,Maktabat Almahabat , Alqahira .
3. شاكر عبد الحميد: العملية الإبداعية فى فن التصوير: سلسلة عالم المعارف، العدد 109، الكويت ، 1987
- S hakimA bdA :lhmydA leamaliatElaibdaeiA fy fin A :ltaswirS ilsilatE alama ,Imaearifi A ,leadad 109Alkuayt , 1987
4. عبير محمد عباس : الصناعات الثقافية و الاقتصاد الإبداعى، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة ، 2018
- Eubayr Muhamad Eabbas : Alsinaeat Althaqafiat Walaiqtisad Alabdaea, Majalat Kuliyyat Aladab Jamieat Alqahirat , 2018
5. عماد بدر الدين : نحو صناعة ثقافية عربية قومية ،بحث ، القاهرة 2002
- Eimad Badr Aldiyn : Nahw Sinaeat Thaqafiat Earabiat Qawmiat ,Bahath , Alqahrt 2002
6. محمود ابراهيم حسين: الخزف الاسلامي في مصر، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٤ .
- M ahmudE brahimH :usynA lkhazfA l'iislamiF iM ,israM aktabatN ahdA IsharaqAlqahirat, .1984
7. ضياء الدين عبدالدايم عمر داود: القيم الجمالية فى خزف الاستديو (لقرية تونس) وارتباطها بمصر، مجلة العمارة والفنون ، العدد الثالث 2016
- Diaa Aldein Abd Alldayim Omar Daoud:Alqiam Aljamaliat Fy Khazf Al'iistudi (Lqariat Tuns) W Airtibatuha Bimisr, Majalat Aleamarat W Alfunun , Aleadad Alththalith 2016